

## تفسير البحر المحيط

@ 165 @ النَّاسَ عَلَائِيَهُمَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّاهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ  
وَلَا كِنَّ أَكْثَرَ . . .

{ مَن فِي \* السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } : عام في كونهم تحت ملكه وقهره . وقال الحسن :  
{ قَانِتُونَ } : فائمون بالشهادة على وحدانيته ، كما قال الشاعر : % ( وفي كل شيء له  
آية % .

تدل على أنه واحد .

% ) .

وقال ابن عباس : مطيعون ، أي في تصريفه ، لا يمتنع عنه شيء يريد فعله بهم ، من حياة  
وموت وصحة ومرض ، فهي طاعة الإرادة لا طاعة العبادة . وقيل : قائلون يوم القيامة ، يوم  
يقوم الناس لرب العالمين . وإذا حمل القنوت على الإخلاص ، كما قال ابن جبير ، أ على  
الإقرار بالعبودية ، أو قانتون من ملك ومؤمن ، لأن كل عام مخصوص . { وَهُوَ أَهْوَنُ  
عَلَائِيَهُ } : أي والعود أهون عليه ، وليست أهون أفعل تفصيل ، لأنه تفاوت عند □ في  
النشأتين : الإبداء والإعادة ، فلذلك تأوله ابن عباس والربيع بن خيثم على أنه بمعنى هين  
، وكذا هو في مصحف عبد □ . والضمير في عليه عائد على □ . وقيل : أهون للتفضيل ، وذلك  
بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر في المشاهد من أن الإعادة في كثير من الأشياء أهون من  
البداء ، للاستغناء عن الروية التي كانت في البداء ؛ وهذا ، وإن كان الاثنان عنده  
تعالى من اليسر في حيز واحد . وقيل : الضمير في عليه عائد على الخلق ، أي والعود أهون  
على الخلق : بمعنى أسرع ، لأن البداء فيها تدرج من طور إلى طور إلى أن يصير إنساناً ،  
والإعادة لا تحتاج إلى هذه التدريجات في الأطوار ، إنما يدعوه □ فيخرج ، فكأنه قال : وهو  
أيسر عليه ، أي أقصر مدة وأقل انتقالاً . وقيل : المعنى وهو أهون على المخلوق ، أي يعيد  
شيئاً بعد إنشائه ، فهذا عرف المخلوقين ، فكيف تنكرون أنتم الإعادة في جانب الخالق ؟  
قال ابن عطية : والأظهر عندي عود الضمير على □ تعالى ، ويؤيده قوله تعالى : { وَلِلَّهِ  
الْمَثَلُ الْأَعْلَى } ، كما جاء بلفظ فيه استعادة واستشهاد بالمخلوق على الخالق ،  
وتشبيهه بما يعهده الناس من أنفسهم ، خلص جانب العظمة ، بأن جعل له المثل الأعلى الذي لا  
يتصل به ، فكيف ولا تمثال مع شيء ؟ انتهى . وقال الزمخشري : فإن قلت : لم أخرجت الصلة في  
قوله : { وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَائِيَهُ } ، وقدمت في قوله : { هُوَ عَلَائِيٌّ هَيِّنٌ } ؟ قلت

: هنالك قصد الاختصاص ، وهو تجبره ، فقيل : وهو على هين ، وإن كان مستصعباً عندك ، وإن تولد بين هرم وعافر . وأما هنا لا معنى للاختصاص ، كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء ؟ فلو قدمت الصلة لتغير المعنى . انتهى . ومبنى كلامه على أن تقديم المعمول يؤذن بالاختصاص ، وقد تكلمنا معه في ذلك ، ولم نسلمه في قوله : { إِيَّكَ نَعْبُدُ } . .

{ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى } ، قيل : هو متعلق بما قبله ، قاله الزجاج ، وهو قوله : { وَهُوَ أَهْوَنُ } ؛ قد ضربه لكم مثلاً فيما يسهل أو يصعب . وقيل : بما بعده من قوله : { ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ } . وقيل : المثل : الوصف الأرفع الأعلى الذي ليس لغيره مثله ، وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما . { وَهُوَ الْعَزِيزُ } : أي القاهر لكل شيء ، الحكيم الذي أفعالى على مقتضى حكمته . وعن مجاهد : المثل الأعلى قوله : { لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } ، وله الوصف بالوحدانية ، ويؤيده قول : { ضَرَبَ لَكُمْ } . .

وقال ابن عباس وغيره : بين تعالى أمر الأصنام